"الفتنة المرجليوثية"

تلقّي دَيڤد س. مارگلياث في العالم العربي– قراءة نقدية–

"Al-Fitnah al-Marjlyuthiyah"

Receiving David S. Margoliouth in The Arab World; A Critical Reading

د. هلال محمد الجهاد
مدرس
جامعة الحمدانية– كلية التربية– قسم اللغة العربية

Dr. Hilal M. Jihad
Lecturer
University of Hamdaniya- College of Education- Department of Arabic

hilaljihad@yahoo.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٢/١/٢٣	٢٠٢٢/٣/٩

الكلمات المفتاحية: مارگلياث– الأكاديميون العرب– سوء القراءة– نقد النقد.

Keywords: Margoliouth- Arab Academics- Misreading- Criticism of Criticism.

الملخص

من خلال منظور نقدي مقارن، يستعرض البحث مواقف الأكاديميين والمترجمين العرب من مقالة مارگلياث الشهيرة التي رجح فيها ان الشعر الجاهلي مصنوع بعد الإسلام. وقد تتبع البحث هذه المواقف منذ لحظة التعرف الأولى على المقالة، ثم توقف عند طه حسين وكتابه في الشعر الجاهلي بوصفه أحد متلقي المقالة، مركزًا على الاختلافات الجوهرية بينهما من حيث المنهج والرؤية والسياق. كما تناول مواقف مترجمي المقالة وأسلوبهم الدفاعي في الترجمة. وتوقف عند بعض الأكاديميين العرب ممن كتب دراسات عن المقالة موضحًا رؤيتهم للمقالة وصاحبها. وركز البحث أيضًا على إيضاح الجهد المعرفي الذي جاءت المقالة في سياقه موضحًا علاقتها المباشرة بدراسات استشراقية أخرى للموضوع نفسه. وقد توصل البحث إلى نتيجة رئيسية مفادها أن العرب بالغوا في ردة فعلهم تجاه المقالة وكاتبها المستشرق مارگلياث واتهموه بتهم عديدة لأنهم عزلوا عن سياقاتها التاريخية والمنهجية والمعرفية.

Abstract

Through a comparative critical perspective, the paper discusses the attitudes of the Arab scholars and translators toward Margoliouth's article in which he denies the authenticity of the pre- Islamic poetry. The paper follows these attitudes since the moment the article was introduced to the Arab cultural milieu, then it attempts to show the main differences between Margoliouth and Ṭāha Ḥusain as a reader of the article. The paper also discusses the misreading of the article translators explaining their apologetic attitudes against it. As for the Arab scholars, the paper chooses three samples from those who wrote apologetic studies on the article. The main conclusion of the paper is the paper is that the Arab overreacted to the article and its writer whom they accused with fanaticism against Arabism and Islam and the basic reason behind this accusation is that they isolated the article form its historical, methodological and cultural context.

١. مقدمة في مشكلة البحث

منذ ما يقرب من قرن، شغلت الأوساط الأكاديمية والثقافية في مصر والعالم العربيّ، بالقضية التي أثارها كتاب طه حسين (في الشعر الجاهلي، نيسان/ أبريل ١٩٢٦)، وأكد فيه تزييف الأكثرية المطلقة من هذا الشعر بعد الإسلام. كانت الفكرة صادمة، فأثارت موجة من الجدل العنيف صارت تعرف بـ (معركة الشعر الجاهلي)، إذ ألف على الفور، الكثير من الردود عليها بدوافع مختلفة، وظلت تداعياتها تشغل المتخصصين، حتى لا نكاد نجد مؤلفًا عن الشعر الجاهلي بعد ذلك، يخلو من هذا الموضوع، حتى الآن.

كان أهم ما في هذه الردود أن كتاب طه حسين ليس سوى "سطو مجرّد"[١] على مقالة نشرها المستشرق الإنجليزي دڤد س. مارگلياث بعنوان (أصول الشعر العربي/ The Origins of Arabic Poetry) في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (*JRAS*)، عدد تموز/ يوليو سنة ١٩٢٥، طرح فيه القضية نفسها وإن بأسلوب مختلف. وبسبب ريبة الخطاب الشعبوي العربي– الاسلامي في المستشرقين عمومًا، فقد كان الرأي السائد أن ما فعله مارگلياث – حسين لا يعدو أن يكون تشكيكًا في الأساس الذي قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية، ومحاولة لتقويضها، ونتاجًا لتعصب ضد الإسلام، الأمر الذي حدا ببعض الباحثين إلى إطلاق تسمية "الفتنة المرجليوثية"[٢] على البحث، وكتاب طه حسين بالتبعية، وما أثاراه من ردود أفعال، وهي فتنة اشترك فيها حتى من ترجم المقالة. وبالنظر إلى أن القضية ما زالت تحتفظ بوهجها وأهميتها، فإن من الضروري العودة إليها وقراءتها نقديًّا، من أجل تقويمها وفهمها من جديد في ضوء سياقها التاريخي الثقافي. لكن، لا بد من أن أوضح منذ البداية، أن الهدف من هذا المقالة ليس نقد أفكار مارگلياث أو طه حسين، فذلك موضوع كثر التأليف فيه، بل عرض الآليات التي جرى على أساسها تلقّي مارگلياث عربيًّا، من منظور نقديّ، لتفهم الدوافع المعرفية والمنهجية التي جعلت مقالة من اثنتين وثلاثين صفحة فقط تحدث كل هذا التأثير في الثقافة العربية الحديثة.

---

(١) ينظر: المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٧، ص. ١٤. يذكر أن هذا الكتاب نشر لأول مرة في عدد خاص من مجلة المقتطف سنة ١٩٣٦.

(٢) ينظر: موقف مرجليوث من الشعر العربي، د. محمد مصطفى هدارة، ضمن كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥: ج١ ص. ٣٩٦ وما بعدها.

٢. مثيرا الفتنة، اختلافات:

يبدو أن مقالة مارگلياث ما كانت لتحظى بالاهتمام لولا أن طه حسين نشر كتابه (في الشعر الجاهلي) محدثًا ضجة كبيرة رافقتها ردود كثيرة عليه سواء في مقالات صحفية أو في كتب ودراسات تفاوتت من حيث قيمتها العلمية، وفي هذا السياق تردد ذكر مارگلياث ومقالته والربط بينها وبين كتاب طه حسين.

يمكن أن يعد طه حسين أحد قرّاء مقالة مارگلياث،[١] لكنه مارس عليها عملية تأويلية شابها الحماس وأدت إلى سوء قراءة لها. وعليه، نجد من الضروري التوقف عند العلاقة بين الدراستين وتناولهما من منظور أغفله الدفاعيون ولم يلتفتوا إليه في غمرة مواقفهم التي جعلتهم لا يفكرون إلا في إبطال الحجج "المتهافتة" التي قامت الدراستين عليهما؛ وهذا المنظور هو المنظور المقارن بين منهجيتهما وأهدافهما وسياقهما المعرفي.

يكشف المنظور المقارن عن أن ثمة أوجهَ اختلاف جوهرية بين الدراستين نتجت عن سوء القراءة المتحمسة، يمكن إجمالها فيما يلي:

أ. في آخر فقرة من مقالة مارگلياث نقرأ ما يلي:[٢]

بشأن السؤال عما إذا كان نظم الشعر العربي يرجع إلى زمن قديم أوإلى ما بعد القرآن، فإن الأكثر حكمة إرجاء البت فيه، والسبب يكمن في الطبيعة المحيرة للأدلة التي أمامنا، ذلك أننا نكون على أرضية موثوقة حين نتعامل مع النقوش؛ وبإمكاننا أن نثق في القرآن بشأن حال العرب الذين أوحي إليهم زمن الرسول، لكن فيما يخص تاريخ الشعر العربي، علينا أن نلجأ إلى مراجع غير الذين كانوا غالبًا يتعاملون مع أزمنة وظروف لم يكونوا هم أنفسهم خبراء بها، وتسببت معرفتهم الناقصة في أن يفترضوا الكثير مما لا بد أنه ضللهم. وبإمكاننا أن نصل بشكنا في الحكم على تصريحاتهم إلى أبعد حد، لكن يمكن أن نكون شديدي السذاجة أيضًا.

دلالة هذه الفقرة حاسمة في الحكم على منهجية المقالة وقيمتها العلمية. فقد قدم مارگلياث أدلته على قضية شغلته طويلاً، وعلى الرغم من تهافت الكثير من هذه الأدلة، إلا أنه يصفها بـ "المحيرة"، والسبب في هذا الوصف أنه يستحضر في ذهنه بالتأكيد، كل ما هو معروف من أدلة أخرى تثبت صحة هذا الشعر وأصالته، وبالتالي، يرى أن الموقف الأكثر

---

(١) ينظر: معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين، د. إبراهيم عوض، دار الفجر الجديد، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧، ص. ٦٤ وما بعدها، حيث يؤكد بالأدلة معرفة طه حسين بمقالة مارگلياث قبل أن يعد محاضراته التي شكلت كتاب (في الشعر الجاهلي).

(2) D. S. Margoliouth, The Origins of Arabic Poetry, Journal of Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, No. 3, (Jul., 1925), p. 449.

حكمة هو إرجاء البت في القضية كلها، بانتظار المزيد مما يعزز موثوقية الأرضية التي يستند عليها، كالنقوش، وربما مزيد من البحوث والدراسات المتخصصة التي قد تدعم فكرته، لتكون بديلاً عن المعتاد من المراجع (الرواة واللغويين والإخباريين) في التأريخ للشعر العربي. بكلمة أخرى، هذه هي النتيجة التي توصل إليها بعد عرض مجموعة من الأدلة رأى أن لها حجية من وجهة نظره، وبعد مناقشة موسعة نسبيًّا، وهي نتيجة ليست قطعية ولا حاسمة كما هو واضح.

وقد عاد مارگليات ليؤكد هذا مرة أخرى في مراجعة لكتاب طه حسين (في الأدب الجاهلي، ١٩٢٧) بقوله "إن هناك صعوبات جدية تواجه الافتراض بأن دواوين الشعر العربي القديم أو بعضها قد حفظت كتابةً أو شفاهةً، لكن الصعوبات تصبح جدية أكثر أمام نظرية أن الشعر العربي نفسه اختراع حدث بعد الإسلام."[١] واضح هنا أن مارگليات ما يزال بعد أكثر من سنتين من نشره مقالته، يفكر في النتائج التي توصل إليها، ويدرك أنها لا تقوم على أرضية علمية صلبة.

حين نأتي إلى طه حسين، نجده كأنه يقرأ مقالة مارگليات قراءة معكوسة، فهو لا يكتفي بالبدء من حيث انتهى سلفه، بل يقفز أمام نتيجته قفزة طويلة لم يجرؤ مارگليات على القيام بها، فأطلق حكمًا نهائيًّا وحاسمًا منذ بداية دراسته حين أكّد:[٢]

إن الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً ليس من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين. وأكاد لا أشك في أن ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي.

تمثل هذه النبرة القطعية الجازمة فرقًا جوهريًّا بين الاثنين من الناحية المنهجية، إذ أن طه حسين يخالف هنا أول أسس المقالة العلمية وأبسطها بأن جعل النتيجة تسبق المقدمات، ثم سخّر كل مقدماته وأدلته لتسويغ الحكم المسبق الذي اتخذه بادئ ذي بدء.

ب. الفرق الثاني بين الدراستين أن مارگليات كان قد انشغل بهذا الموضوع لمدة لا تقل عن عشرين عامًا، فتناولها أو أشار إليها في دراسات له سابقة،[٣] وانشغاله بها نتج عن البيئة

(1) D. S. M. Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, no. 4, (Oct. 1927), p. 904.

(٢) في الشعر الجاهلي، د. طه حسين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٢٦، ص. ٧.

(٣) ينظر: D. S. Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam, G. P. Putnam's Sons, New York and London, The Knickerbocker Press,

الثقافية الأكاديمية التي كان يتحرك فيها، إذ عني عدد من المستشرقين بهذه القضية الشائكة قبله خلال ما يقرب من مئة سنة، فضلاً عن جهوده التحقيقية لبعض مصادر التراث العربي المهمة، وأهمها معجم الأدباء لياقوت الحموي. وهذا يعني أن أدلته وأسئلته التي طرحها حول القضية مهما كانت متهافتة من وجهة نظرنا، تبقى ذات قيمة علمية في حدود اهتماماته البحثية لأنها نتاج جهد أكاديمي استمر مدة طويلة.

على حين أن قضية الشك في الشعر الجاهلي لا يبدو أنها كانت تشغل طه حسين بأي شكل، فقد ظهرت فجأة. ذلك أن اهتمامه بالشعر الجاهلي قبل كتابه، لم يخرج عن الإطار المعتاد في دراسة الأدب العربي القديم كما فعل غيره ممن سبقه أو عاصره، ففي بداية سنة ١٩٢٥، نشر الجزء الأول من كتابه (حديث الأربعاء) تناول فيه بالدراسة والتحليل مجموعة من الشعراء الجاهليين والمخضرمين هم لبيد وطرفة وزهير وكعب بن زهير والحطيئة وعنترة وسويد بن أبي كاهل والمثقب العبدي، مقدمًا لدراساته بمقدمة دفاعية عن أهمية الأدب العربي القديم وأهمية دراسته، جادل فيها من يعترض على ذلك بقوله: "بل نحن نحب لأدبنا القديم أن يظل قوامًا للثقافة، وغذاء للعقول، لأنه أساس الثقافة العربية؛ فهو إذن مقوّمٌ لشخصيتنا، محققٌ لقوميتنا، عاصم لنا من الفناء في الأجنبي، معين لنا على أن نعرف هويتنا." (١)

إلى ذلك، أكد طه حسين في كتاب صدر لاحقًا في السنة نفسها (شهر يوليو/ تموز، ١٩٢٥) عن مجموعة من الشخصيات اليونانية والرومانية، تقديره العالي للشعراء الجاهليين، وذكر في فصله الأول الذي خصصه لهوميروس أن الشعراء هم قادة الفكر، وتساءل:(٢)

1905. p. 60, حيث أكد أن معظم الشعر العربي القديم مصنوع على غرار القرآن، وينظر: D. S. Margoliouth, "A Poem Attributed to Al-Samau'al." Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, (Apr. 1906), 363-71. وفي هذه المقالة القصيرة ذكر أن من الشائع لدى المسلمين تأليف خطب أو أشعار وعزوها للأبطال القدامى، وهذا ما حدث مع السموأل الذي يحظى بمكانة رفيعة لديهم.

(١) حديث الأربعاء، د. طه حسين، دار المعارف بمصر، ط ١٤، د. ت. ص. ١٣. والطبعة الأولى لهذا الجزء من الكتاب صدرت بداية سنة ١٩٢٥، لأن المؤلف يؤرخ لإهدائه الكتاب إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد (رئيس الجامعة المصرية حينذاك) بـ ١٧ يناير ١٩٢٥. وينظر: المصدر نفسه، ص ص. ١٨- ١٧٢ لمقالاته التي خصصها للشعراء المذكورين أعلاه.

(٢) قادة الفكر، د. طه حسين، مطبعة دار الهلال، القاهرة، ١٩٢٥، ص. ٧.

هل كانت توجد الحضارة اليونانية التي أنشأت ((سقراط)) و ((أرسطاطاليس)) والتي أنشأت ((إيسكولوس)) و ((سوفوكليس)) والتي أنشأت ((فيدياس)) و ((بيريكليس)) لو لم توجد البداوة اليونانية التي سيطر عليها شعر هوميروس وخلفائه؟ وهل كانت توجد الحضارة الإسلامية التي ظهر فيها من ظهر من الخلفاء والعلماء والرجال الأفذاذ لو لم توجد البداوة العربية التي سيطر عليها امرؤ القيس والنابغة والأعشى وزهير وغيرهم من هؤلاء الشعراء الذين نبخسهم أقدارهم ولا نعرف لهم حقهم؟

لا يدلي طه حسين هنا بملاحظة عابرة، بل يصدر حكمًا يجعل الشعراء الجاهليين أساسًا للحضارة العربية الإسلامية. وهذا تصريح قد يبدو مبالغًا فيه، لكن ما يهمنا منه أن طه حسين يبدو واثقًا من تقديره لهؤلاء الشعراء وأهمية شعرهم، وأصالته بالطبع. ثم ما إن فتحت الجامعة المصرية أبوابها للعام الدراسي ١٩٢٥– ١٩٢٦، حتى ظهر أستاذًا للأدب العربي وموضوع محاضراته كان التشكيك في أصالة الأغلبية المطلقة من الشعر الجاهلي، وهي المحاضرات التي شكّلت أصل كتابه (في الشعر الجاهلي أبريل/ نيسان ١٩٢٦). وليس من شأن البحث هنا، فهم أسباب هذا التحول المفاجئ في تفكير طه حسين، وجذريته المتطرفة في تقويم الشعر الجاهلي والحكم عليه في الحالتين، لكن تحولاً كهذا لا يحدث دون حافز قوي مباشر.

ت. رأينا أن مارگلياث تناول موضوع مقالته في أكثر من واحدة من دراساته خلال مدة طويلة، ثم جاءت المقالة تجميعًا وتنظيمًا وتوسعة لأفكار أشار إليها من قبل، وظل متمسكًا بها مع اطلاعه على ردود بعض زملائه من المستشرقين على أفكاره. وهذا يعني من ضمن ما يعنيه، أن المسألة عنده مثلت مشكلة معرفية رافقت حياته الأكاديمية، بغض النظر عن علميتها ومدى نجاحه فيها. وقد أدى هذا إلى أن تكون مقدمات مارگلياث وأدلته واستنتاجاته منسجمة مع بعضها من خلال رؤية منهجية توحدها عبر المقالة، وهذا أمر متوقع من شخصية أكاديمية.

أما طه حسين فيبدو الموضوع مختلفًا عنده من ناحية انسجام مقدماته ونتائجه. لنلاحظ مثلاً، أنه ختم كتابه بملاحظة غاية في الغرابة مفادها أن أقدم شعر عربي لا يرقى إلى أكثر من القرن الرابع للميلاد، وقد نشأ من نهضة ثقافية تكونت من تفاعل العرب الجنوبيين والشماليين معاً ثم تفاعلهما مع الفرس، وهذا الشعر ذهب ولم يبق منه شيء إلا الذكرى.

ثم يقول:[١]

ولكن لم يكد يأتي القرن السادس للمسيح حتى تجاوزت هذه النهضة أقطار العراق والجزيرة ونجد، وتغلغلت في أعماق البلاد العربية نحو الحجاز فمسّت أهله. ومن هنا ظهر الشعر في مضر ومن إليهم من أهل البلاد العربية الشمالية... وسترى أن الشعراء الجاهليين من مضر قد أدركوا الإسلام كلهم أو أكثرهم فليس غريباً أن يصح من شعرهم شيء كثير.

فما الذي نفهمه من هذه الملاحظة؟

يبدو طه حسين هنا، ينقض الفكرة الأساسية لكتابه جذريًّا، ذلك أنه يقول أن شعراء مضر[٢] عاشوا في القرن السادس الميلادي، أي خلال المئة سنة السابقة لمجيء الإسلام في بداية القرن السابع (كانت البعثة النبوية سنة ٦١٠ م)، وهم ليسوا قليلين، بل إن أغلب الشعراء الجاهليين الذين نعرفهم عاشوا في هذا القرن وبعضهم أدرك الإسلام، وأكثر شعرهم صحيح كما يقول، وبالتالي فهو جاهلي إذن، وعليه، فإن مقولة "أن الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي ليست من الجاهلية في شيء" ليست صحيحة، وفقدت كل مبرراتها لأنه نقضها بنفسه هنا.

---

(١) في الشعر الجاهلي، ص ص. ١٨١- ١٨٢. وينظر: في الأدب الجاهلي، د. طه حسين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ١، ١٩٢٧، ص. ٢٥٥، حيث نجد هذه العبارة نصًّا، ونجده يضيف بعد ذلك فصلاً موسعًا للحديث عن شعر شعراء مضر وخصائصه الفنية (وهو يكرر هنا ما قاله بالضبط في الجزء الأول من حديث الأربعاء، ١٩٢٥)، في حين أنه ضمّن (في الشعر الجاهلي) بكليته نصًّا في هذه الطبعة ما عدا بعض الحذوف الطفيفة التي تتصل بما قاله عن القرآن. وليس واضحًا كيف استقام له هذا منطقيًّا ومنهجيًّا، لأنه يعني أن آخِر (في الأدب الجاهلي) ينقض أوله، وأن اهتمامه بشعراء مضر (الجاهليين) بهذا الاطمئنان والتوثيق يبطل فكرة أطروحته الأساسية بكل مقدماتها ونتائجها تمامًا.

(٢) معروف أن قبائل مضر هي أكثر قبائل العرب العدنانية الشمالية، وهي عند علماء الأنساب (ضبة وتميم وهذيل وأسد وكنانة – ومنهم قريش– وقيس عيلان التي منها هوازن وسليم ومازن وغطفان وذبيان وعبس وغيرها من الفروع، وأكثر شعراء الجاهلية المهمين والمعروفين من هذه القبائل، فلا يبقى بعد ذلك إلا قلة من الشعراء المهمين من قبائل أخرى كبكر وتغلب من وائل وهي من ربيعة العدنانية أيضًا، أما من القبائل ذات الأصول اليمنية الجنوبية، فلدينا قلة من الشعراء أشهرهم من كندة امرؤ القيس. وطه حسين إذ يصدر حكمه هذا، إما أنه لا يعرف أنساب القبائل المضرية وشعرائها، أو أنه يظن أن أكثر الشعر الجاهلي من قبائل أخرى.

وهذا يعني أن طه حسين يعود بشكل لاواعٍ إلى القناعة المستقرة في الثقافة العربية منذ ابن سلّام الجمحي بأصالة الشعر الجاهلي وصحة أكثره، والمزيف المنتحل منه قام العلماء الرواة بتمييزه والتنبيه عليه، الأمر الذي يشير إلى أن الموضوع كله عنده لم يكن نتاج إشكالية معرفية حقيقية، ولا نتاج نضج أكاديمي منهجي متدرج، ومن هنا جاء التناقض.

ولعل ما يؤيد هذا، أن طه حسين عاد في بعض مؤلفاته اللاحقة إلى الاعتراف بالشعر الجاهلي ووضعه في سياقه التاريخي- الثقافي المعتاد، ففي كتيّب له يكاد يكون مجهولاً نشر سنة ١٩٣٥، نجده يتحدث عن جزيرة العرب بوصفها مهدًا للأدب العربي القديم، ففي شماليها ووسطها نشأ الشعر الجاهلي.(١) وفي كتاب آخر له صدر سنة ١٩٥٥، يشرح لماذا كان الشعر الجاهلي ديوان العرب في الجاهلية، ويبين أن شعر الجاهليين مثل زهير وامرئ القيس والنابغة والأعشى كان شعراً يصور الحياة العربية كما كان أصحابها يحيونها،(٢) وكأن شيئًا لم يكن، وأن الفكرة التي شغلته لما لا يقل عن سنتين تلاشت تدريجيًّا مع كل الدعاوى التي رافقتها.

ث. يذكر مارگلياث في بداية مقالته اسمي آلڤارت ولايل، مشيرًا إلى أن الأول لم يكن واثقًا من نفسه كثيرًا بشأن القضايا التي لفت الانتباه إليها فيما يتعلق بأصالة الشعر الجاهلي وخاصة تشكيكه بأمانة الرواة حتى العلماء منهم، والثاني يثق بالرواة أكثر مما يفعل هو.(٣) وهذا يعني

---

(١) ينظر: الحياة الأدبية في جزيرة العرب، د. طه حسين، مكتب النشر العربي، دمشق، ط١، ١٩٣٥، ص. ١٤. جدير بالذكر أن موضوع هذا الكتيّب غريب وبعيد عن اهتمامات طه حسين الأدبية والنقدية، فهو في مديح محمد بن عبد الوهاب ومذهب الوهابية.

(٢) ينظر: خصام ونقد، طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٥٥، ص. ٤٥- ٤٧.

(٣) ينظر: The Origins of Arabic Poetry, op. cit. p. 417. الهامش رقم ١. وما يقصده مارگلياث هو دراسة ڤيلهلم آلڤرت (Bemerkungen über die echtheit der alien arabischen Gedichte, Greifswald, 1872 = ملاحظات حول أصالة القصائد العربية القديمة، وترجمه عبد الرحمن بدوي ضمن دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص ص ٤١- ٨٦) الذي تناول فيه قضايا تخص علاقة الشعر الجاهلي بالقرآن واللهجات والرواة، مبديًا ثقة كبيرة لكن حذرة بأصالة هذا الشعر وصحته متابعًا أستاذه نولدكة في ذلك، رغم تشكيكه في أمانة الرواة حتى العلماء منهم. والغريب أن الدراسة تبدو ردًّا مبكرًا على مقالة مارگلياث الذي ستنشر بعد أكثر من خمسين سنة. أما لايل فقد رد على ما وصفه بـ "التوكيد المدهش" للبروفسور مارگلياث في مدخله عن النبي محمد في موسوعة الدين والأخلاق (ينظر: James Hastings' Encyclopedia of Religion and Ethics,

أن مقالته ردٌّ عليهما، فهو يتجاوز تردد آلفارت، ويرفض موقف لايل، وبالتالي؛ فإن المقالة تأتي في سياق علمي أكاديمي محدد، لتحلّ مشكلة ماثلة ما زالت الجهود الأكاديمية لم تتوصل إلى حل لها، وعليه، فالحكم على أهدافها لا ينبغي أن يخرج عن هذا السياق.

هناك أمر في كتاب طه حسين لا يبدو وثيق الصلة بموضوعه، يتمثل في أنه أقحمه في سياق صراع مع من وصفهم بـ "أنصار القديم"، بحيث شكّل إطاره العام. وهذا يعني أن ما ينبغي الاهتمام به ليس إنكار صحة الشعر الجاهلي، فهو قضية ثانوية وظفها طه حسين لدعم قضية أهم من وجهة نظره، هي هذا الصراع الذي عبر عنه. ففي مقدمة كتابه،[١] نجده ينعى على من وصفهم بهذا الوصف، تمسكهم بالقديم ورفضهم منهج البحث العلمي الحديث، والعقلية الغربية، بأسلوب تغلب عليه السخرية وربما حتى الازدراء. وليس لذلك مبرر، فقد سبقه باحثون كتبوا دراسات رصينة في تاريخ الأدب العربي، تقوم على أسس البحث المنهجي الحديث مثل الرافعي وجورجي زيدان. ويكفي مثلاً، الاطلاع على كتاب الشهاب الراصد لمحمد لطفي جمعة الذي يكشف عن معرفة واسعة بتيارات النقد الأدبي الفرنسي والفلسفة الأوربية الحديثة، أو الاطلاع حتى على محضر النائب العام المصري (محمد نور) الذي حقق مع طه حسين ليتوصل إلى قرار بحفظ أوراق التحقيق إداريًّا،[٢] احترامًا لحق الحرية في البحث العلمي، لنعرف النوعية الرصينة لمثقفي عصر طه حسين ممن يتهمهم بالتحجر والجمود. وفي هذا السياق يأتي أيضًا، إقحامه بعض التصريحات الاستفزازية التي تمس عقائد

VIII , Edinburgh: T. & T. Clark, 1916, p. 874.)، أن معظم الشعر العربي القديم مصنوع على غرار القرآن، وركّز لايل في ردّه على توكيد مصداقية الرواة المشهورين. ينظر:
Charles James Lyall,The Mufaḍḍaliyāt; an anthology of ancient Arabian odes compiled by Al-Mufaḍḍal son of Muḥammad according to the recension and with the commentary of Abū Muḥammad Al-Qāsim Ibn Muḥammad Al-Anbāri: Translation and Notes. Vol: II, Oxford: Oxford University Press. 1918. pp. xx- xxiii.

(١) ينظر: في الشعر الجاهلي، ص ص. ١- ١٠.

(٢) ينظر: قرار النيابة في كتاب الشعر، الجاهلي، مطبعة الشباب، القاهرة، د. ت. ص ٣٤. (تاريخ المحضر ١٧ مارس/ آذار ١٩٢٧). ويعد قرار رئيس النيابة في حينها (محمد نور) قرارًا جريئًا، لأن الشكاوى الثلاث التي قدمت ضد طه حسين كانت من جهات عليا، لكنه بناه على مناقشة علمية تثير الإعجاب لأفكار الكتاب الرئيسة مع مؤلفه ثبتت في المحضر. وينظر التحليل المفصل للقرار في: المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين، د. محمد نجيب البهبيتي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥، ص ص. ٢١٦- ٢٣٧، حيث وصف البهبيتي رئيس النيابة محمد نور بأنه "أنقد نقّاد طه حسين".

المسلمين دون مبرر علمي، والدليل على ذلك أنه حذفها في الطبعة المعدلة المطولة للكتاب (في الأدب الجاهلي، ١٩٢٧) دون أن يؤثر هذا الحذف على فكرته الرئيسة. ومرة أخرى، هذا كله ليس ذا صلة بالبحث في مسألة علمية أكاديمية.

ج. أخيرًا، ثمة ملاحظة قد تكون ذات دلالة خاصة في هذا السياق؛ وهي أن مارگلياث أبدى اهتمامًا نادرًا بطه حسين حين كتب مراجعة لكتابه (في الأدب الجاهلي، ١٩٢٧)، ذكر فيها أن الأخير توصل إلى نتائج مشابهة لما توصل إليه هو في مقالته (أصول الشعر العربي، ١٩٢٥) بشكل مستقل وفي الوقت نفسه تقريبًا، واستعرض فيها بإيجاز أدلة طه حسين في إنكار صحة الشعر الجاهلي.(١) ويبدو أن مارگلياث بمراجعته هذه التي نشرها في دورية استشراقية مرموقة، أراد أن يثبت للوسط الاستشراقي، علمية نتائج مقالته من خلال دعمها بدراسة باحث عربي متخصص، مع أن عبارة "بشكل مستقل وفي الوقت نفسه تقريبًا" تبدو ادعاء من حيث التواريخ المعروفة للعملين. في المقابل، لم يأت طه حسين على ذكر مارگلياث أبدًا، لا في النسخة المعدلة من كتابه، ولا في أي مؤلف لاحق له، ولم يدفع عن نفسه بأي شكل، تهمة السطو على أفكار المستشرق التي ترددت في الأوساط الثقافية فور صدور كتابه.

٣. مارگلياث مترجَمًا:

٣. ١. بدايةً، لا يكاد مارگلياث يُعرف في الثقافة العربية إلا من خلال مقالته (أصول الشعر العربي)، فقد تُجوهل أغلب دراساته الأخرى ولا سيما ذات الصلة بالإسلام وتاريخه، وهذا التجاهل ربما يرجع إلى الاسترابة في أهدافه من هذه الكتابات، بالنظر إلى ما أشيع عنه من تعصب ضد الإسلام – وليس معروفًا من أين جاء هذا الحكم لأن دراساته هذه ما زالت لم تترجم إلى العربية حتى الآن– وإن نوّه البعض بجهوده التحقيقية التي كانت السبب في شهرته حتى بين المستشرقين أنفسهم.(٢)

---

(1) D. S. M. Book Review, Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, no. 4, (Oct., 1927), pp. 902–904.

(٢) لمارگلياث منجزات متنوعة، أهمها تحقيقه كتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء، لياقوت الحموي (نشره في سبعة أجزاء بين سنتي ١٩٠٧– ١٩٢٧)، وكتاب الأنساب للسمعاني، ١٩١٢. وأما أهم دراساته الإسلامية (وكلها ما زال لم يترجم إلى العربية) فهي: (Mohammed and the Rise of Islam 1905, Mohammedanism, 1912, The Early Development of Mohammedanism. 1914). جدير بالذكر أن ما ترجم لمارگلياث إلى العربية كتاب واحد فقط هو (دراسات عن المؤرخين العرب)، ترجمة د. حسين نصار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠. والكتاب عبارة عن محاضرات تستعرض بإيجاز جهود ٢٥ مؤرخًا عربيًا، كان قد نشرها في كلكتا، سنة ١٩٢٩.

واضح أن بعض هذه الدراسات قد وصل إلى العالم العربي في حينه، إذ نجد من يكتب عنها أو يشير إليها من مثقفي تلك الحقبة.[١] وثمة شهادات معاصرة تؤكد أن عدد مجلة الجمعية الملكية الذي نُشرت فيه مقالة مارگلياث كان متداولاً في الأوساط الثقافية المصرية بعد وقت قصير من صدوره،[٢] غير أنه تجوهل في حينها لاعتبارين؛ الأول أنه يأتي في بدايات

---

(١) مثلاً، كتب محمد رشيد رضا مراجعة لكتاب مارگلياث Mohammad and the Rise of Islam, 1905، بعنوان "كتاب مرجليوث في النبي محمد صلى الله عليه وسلم". ينظر: مجلة المنار، المجلد ٩، العدد ٧، (آب/ أغسطس، ١٩٠٦) ص ص. ٥٣٣- ٥٣٨. الملاحظ على هذه المقالة أن رضا ناقش الأفكار العامة لكتاب مارگلياث بهدوء وعقلانية ولم يتهمه بالتعصب، بل تحدث عن "أخطائه" في فهم أحداث السيرة النبوية وتفسيرها، بسبب مركزيته الدينية والثقافية التي تعيقه عن فهم الإسلام حق الفهم. ويبدو أن الأجواء السائدة في ذلك الوقت كانت أكثر تقبلاً لأفكار المستشرقين لوجود شعور بالندّية لدى المثقفين العرب في ذلك الوقت، قبل موجة الريبة التي يبدو أنها بدأت في عشرينات القرن العشرين.

(٢) ذكر مصطفى صادق الرافعي في إحدى مقالاته التي خصصها للرد على طه حسين ما يلي: "حدثنا الأستاذ العلامة الكبير صاحب مجلة المقتطف في شهر سبتمبر من السنة الماضية أن مجلة الجمعية الآسيوية نشرت بحثًا للشيخ.. مرجليوث المستشرق الإنجليزي المعروف، أنكر فيه صحة الشعر الجاهلي، ثم ساق لنا الأستاذ بعض أدلته فلم نجد مقنَعًا ولا رضًا، وقلنا هو رأي في العلم لا علم، ثم هو من مستشرق وذلك أهون له، وما كان لنا أن نأخذ عن القوم في الأدب العربي إلا بتمريض واحتراس. ولما فتحت الجامعة إذا المستر... طه حسين ينتحل الفكرة ويدّعيها ويبوب لها أبوابًا ويفصل فصولاً ويدرّس ذلك في الجامعة." تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة الأهلية بمصر، ١٩٢٦، ص ص. ١٩٠- ١٩١. والمقصود بالسنة الماضية سنة ١٩٢٥، لأن المعروف أن المقالات التي ضمّنها الرافعي كتابه تحت راية القرآن وعددها تسع وثلاثون مقالة، بدأ بكتابتها بعد صدور كتاب طه حسين مباشرة، واستمر في ذلك طيلة السنة نفسها. أما صاحب مجلة المقتطف المذكور فهو يعقوب صرّوف الصحفي والمترجم والباحث والأديب ت. ١٩٢٧. وينظر أيضًا: المتنبي، محمود محمد شاكر، ص. ١٢. حيث يذكر شاكر أنه التقى سنة ١٩٢٥ بأحمد تيمور باشا ألذي أعطاه نسخة من عدد مجلة الجمعية الملكية الآسيوية المتضمن للمقالة ليقرأها ويعطيه رأيه فيها. ومحمود تيمور هو شقيق عائشة التيمورية، وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق –وكان مارگلياث عضوًا فيه أيضًا– ولديه أكثر من ٣٠ مؤلفًا في الأدب واللغة والتاريخ، ت. ١٩٣٠.

تعرف العرب على جهود المستشرقين في دراسة الثقافة العربية الإسلامية، ولم تكن هذه الأوساط على استعداد للتخلي عن اعتدادها برصيدها المعرفي والثقافي إزاءه، فلم تكن تعبأ كثيرًا، بما يكتبه أغلب المستشرقين من آراء حول الأدب العربي أو تحترس منه، بدعوى أنهم ليسوا متمكنين من العربية أصلاً، فكيف بأدبها. والثاني أن المتون الدفاعية اللاحقة ركزت على كتاب طه حسين نفسه، على الرغم من اتهامه أحيانًا، بالسطو على مقالة مارگلياث، وبالتالي لم يبد أحدٌ اهتمامًا (حينها) بترجمة كاملة لها بحيث تكون في متناول الجميع.

وبالفعل، لم يأت على ذكر مقالة مارگلياث أغلب من ألفوا ردودًا مفصلة على طه حسين، مثل محمد لطفي جمعة (الشهاب الراصد، ١٩٢٧) مع أنه كان أفضل الردود وأكثرها قيمة عليمة ومنهجية، ومحمد فريد وجدي (نقد كتاب الشعر الجاهلي، ١٩٢٧)، ومحمد أحمد الغمراوي (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، ١٩٢٩)، ومحمد الخضري (محاضرات في بيان الأخطاء العلمية والتاريخية في كتاب في الأدب الجاهلي، ١٩٢٩)، وبعضهم اكتفى بذكر اسمه أو الإشارة إلى فكرة مقالته العامة مثل شكيب أرسلان،[١] وكان الوحيد الذي أورد مقتطفات نصية منها، هو محمد الخضر حسين، ضمّنها ردّه الموسّع على أفكار طه حسين وحججه في إنكاره صحة الشعر الجاهلي، موظِّفًا هذه المقتطفات في إثبات معرفة طه حسين بمقالة مارگلياث والسطو على فكرتها العامة.[٢]

---

(١) ينظر مثلاً: ، الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة، الأمير شكيب أرسلان، تحقيق محمد العبدة، دار الثقافة للجميع، القاهرة، ط١، ١٩٨٠، ص ص. ١٤، ١٦، ٥٠... إلى آخره. وهذا الكتاب أصله مقدمة طويلة كتبها شكيب أرسلان لكتاب النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، محمد أحمد الغمرواي، ١٩٢٩.

(٢) ينظر: نقض كتاب في الشعر الجاهلي، محمد الخضر حسين، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط ١، د. ت. (المعروف أن هذا الرد صدر بعد كتاب طه حسين بمدة يسيرة، أي سنة ١٩٢٦ أو ١٩٢٧.). وفيما يلي بعض هذه المقتطفات: استعرض محمد الخضر حسين تاريخ فكرة الشك في مؤلفات مارگلياث السابقة ورد لايل عليه في مقدمة نشرته لشرح ديوان المفضليات سنة ١٩١٨، وأكمل: "ثم عاد الدكتور مرغليوث وكتب في مجلة الجامعة الآسيوية الملكية الصادرة سنة ١٩٢٥ مقالًا مسهبًا أتى فيه على الشبه التي جرّت إلى نظرية الشك في الشعر الجاهلي، فابتدأه بقوله: "بدأ المسلمون في حوالي نهاية العصر الأموي يدّعون وجود شعر جاهلي عربي، ولم يكتفوا بذلك حتى زعموا أنهم جمعوا الجزء الأعظم منه." وأنهاه بقوله :"أما الجواب عن الشعر الجاهلي :هل هو يرجع إلى عهد عتيق أو أنه إسلامي، فخير ما يسلك الإحجام عنه؛ لأن الأدلة الموجودة أمامنا موقعة في حيرة."" ص. ١٧. ونقل ملاحظة طه حسين على الأشعار الجاهلية أنها إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم... وعقب

عليها بالقول: "وقال مرغليوث بعد أن ساق من الشعر الجاهلي أمثلة تحتوي معاني دينية "والحقيقة أن الدين الوحيد الذي كان يدين به هؤلاء هو الإسلام" وقال في موضع آخر "إن الشعراء لم يكونوا ألسنة الوثنية بل مسلمين في كل شيء ولم يكونوا جاهليين إلا اسمًا." ص. ١٨. وناقش حجة طه حسين بخصوص أن الشعر الجاهلي بريء أو كالبريء من الحياة الدينية للعرب ثم قال: "هذه الشبهة مما استلبه المؤلف من مقال مرغليوث – حيث يقول: "تجد في هذه الأشعار ما يبعث على الدهشة، فشعراء كل أمة يشرحون دينهم وعقائدهم شرحًا واضحًا، والمخطوطات العربية مملوءة بذلك، ففي كل مخطوطة نجد اسم معبود أو أكثر وأشياء تتعلق بعباداتهم ... وقلما نعثر في هذه الأشعار على شيء يتعلق بالدين إلا نادرًا."" ص. ٤٧. وذكر حجة طه الحسين عن لغة الشعر الجاهلي الموحدة، وقال: "وهذا مما استشهد به مرغليوث قبله، وأكاد أثق بأن المؤلف استعاره منه. قال مرغليوث في مقاله المنشور في مجلة الجامعة الآسيوية: "هنا دليل لغوي واضح من هذه الأشعار وهو أنها كلها مكتوبة بلهجة القرآن." وقال: "إذا فرضنا أن الإسلام أرغم قبائل جزيرة العرب على توحيد لغتهم بتقديمه مثالًا أدبيًا لا يقبل الجدل في جودته وعلو شأنه وهو القرآن، فمن الصعب اعتقاد أن يوجد قبل هذا العامل الحيوي لغة عامة لقبائل الجزيرة تختلف عن لغات المخطوطات الأثرية، إن لهجة كل قبيلة تمتاز بمفرداتها ونحوها، وإننا لنجد جميع المخطوطات في هذه الأنحاء مرسومة بلغة أخرى غير لغة القرآن."" ص. ٧٠. وأشار إلى تساؤل مارگلياث عن هذا الشعر الجاهلي لماذا لم يمثل ديانة العرب، واتخاذه ذلك شاهدًا على أن الشعر ليس جاهليًا. ص. ١٠٦. وذكر حجة مارگلياث عن أوزان الشعر التي أبطلها رزين العروضي وهو معاصر للخليل، ص ١١٠، واقتبس تساؤل مارگلياث عن الوسيلة التي حفظ بها الشعر الرواية أم الكتابة. ص. ١٧٥، واقتبس نقده لفكرة الرواية "ان رواية الشعر حفظًا لا تتيسر إلا إذا كانت وظيفة أشخاص يقومون عليها باستمرار"، وذم القرآن الشعراء. ١٧٦، وأورد ملاحظته عن ذكر الشعراء الكتابة واستشهاده ببيت من شعر الحارث بن حلزة وبيت لشاعر هذلي. ص. ١٧٨. ثم يقتبس من مارگلياث قوله: "نعم نجد الشعراء الجاهليين يقسمون كثيرًا في أشعارهم، ولكن كل إيمانهم الواردة في دواوينهم هي بالله، وذكر أن كثيرًا من هذه الأشعار يشتمل على عقيدة التوحيد التي تنسب التصرف إلى الله، وعلى أشياء إنما يذكرها القرآن." ص ص. ٢١٢– ٢١٣. وأشار إلى ما ذكره مارگلياث عن حماد وخلف ووضعهما الشعر. ص. ٢٦٩. وذكره خبر حمّاد مع بلال بن أبي بردة والقصيدة المزيفة التي مدح بها الحطيئة أبا موسى الأشعري، وخبر حمّاد مع الخليفة المهدي. ص ٢٧٠. واعتراف أبي عمرو بن العلاء بوضعه بيتًا على الأعشى. ص. ٢٧١. وكل هذه الاقتباسات وبعضها بنصّه ما عدا اليسير من الاختلافات الترجمية، موجود في مقالة مارگلياث، ويؤكد أن محمد

وقد قام محمود محمد الخضيري بترجمة مقالة مارگليات ملخّصة ونشرها في مجلة الزهراء التي كان يصدرها محب الدين الخطيب صاحب المكتبة السلفية بالقاهرة، عدد ذي الحجة، ١٣٤٦، نيسان/ أبريل، ١٩٢٨.[١] والملاحظ هنا ورود تصدير للمقالة موقّع بكلمة (الزهراء)، ولعل رئيس تحرير المجلة محب الدين الخطيب هو الذي كتبه، يقول:[٢]

هذه خلاصة الفصل الذي فتح للدكتور طه حسين الطريق إلى تأليف كتاب (في الشعر الجاهلي)، لأن موضوعهما واحد وغايتهما واحدة، وتوارد الخواطر بينهما إلى هذا الحد يكاد يكون مستحيلاً. والذي ذهب إليه الكاتبان –المستشرق والشرقي– فيه كثير من الحق وكثير من الباطل. أما الحق فقد سبقهما إليه رجال الأدب في العصور الإسلامية الماضية، وأما الباطل فقد ظن أصحابه أن له جولة ثم ما لبثوا أن رأوه آخذا في الاضمحلال.

واضح أن الذي كتب هذا التصدير يريد إثبات التأثير المباشر لمقالة مارگليات على طه حسين. يأتي هذا بعد مرور أكثر من سنة على صدور كتاب الأخير والجدل ما زال مستمرًا حوله.

الخضيري أحد تلامذة طه حسين وقد حضر محاضراته التي جمعها لاحقًا في كتابه، برفقة محمود محمد شاكر. وترجمته المقالة جاءت نتيجة للنقاش الذي دار بينهما ووصف تفاصيله شاكر في مقدمته لدراسته عن المتنبي. والملاحظ على ترجمة الخضيري أنها ليس "ترجمة" نصية بل تلخيص لأفكار المقالة في ثلاث عشرة صفحة، وقد ذكر في هامش الصفحة الأولى المعلومات الببليوغرافية للمقالة، كما أورد أرقام الصفحات من عدد مجلة

الخضر حسين كان قد قرأ المقالة بلغتها وترجمها أو تُرجمت له وكانت بين يديه وهو يكتب رده، وأنه اطلع فضلاً عن ذلك، على بحوث مارگليات السابقة وبحوث مستشرقين آخرين ردوا عليه، مثل لايل وبروينليش.

(١) ينظر: المتنبي، شاكر، المتنبي، ص. ١٤. يذكر أن الخضيري قام أيضًا بأول ترجمة عربية لكتاب ديكارت (مقال عن المنهج) وصدر عن المطبعة السلفية سنة ١٩٣٠، مدفوعًا بإعلان طه حسين اعتماده عليه منهجيًّا في كتاب الشعر الجاهلي، والجدل الذي أثير حوله حينها.

(٢) رأي الأستاذ مرجليوث في الشعر الجاهلي، محمود محمد الخضيري، مجلة الزهراء، العدد ١٠، المجلد ٤، ذو الحجة، ١٣٤٦، ص. ٦١٨. موقع الإنترنت: https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/Al-Zahra/Al-Zahra_1927/Issue_10/index.html
تاريخ الدخول: الأربعاء ١١/ ٨/ ٢٠٢١.

الجمعية الملكية الآسيوية الذي نشرت فيه المقالة، نهاية كل فقرة رئيسية منها، ولم يعلق على أفكارها أو يناقشها.

بعد أن هدأت المعركة النقدية حول كتاب طه حسين، بما يقرب من ربع قرن، عاد الموضوع للظهور، لنجد د. ناصر الدين الأسد يعرض مضمون مقالة مارگلياث بإحالات مباشرة إلى مصدرها الأصلي، معيدًا تصنيف أدلته إلى داخلية وخارجية. وهو عرض مفصل يؤكد أن المقالة كانت بين يدي الأسد وهو يكتب أطروحته. ثم قام د. يحيى الجبوري بنشر ترجمته للمقالة–وهي أول ترجمة للمقالة بأكملها– في كتاب مستقل بالعنوان نفسه (١٩٧٧)، ثم ترجمها د. عبد الرحمن بدوي ونشرها ضمن كتابه (دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ١٩٧٩). بعدها نشر د. عبد الله أحمد المهنّا ترجمة أخرى للمقالة في مجلة شعر(١٩٨١)،[١] وأعاد نشره ضمن كتاب قضايا الأدب والشعر الذي صدر عن جامعة الكويت في السنة نفسها، وأخيرًا، ترجمها د. إبراهيم عوض في كتاب مستقل أيضًا (٢٠٠٦). ويكشف تعدد الترجمات هذا مقدار الأهمية التي حظيت بها المقالة في الأوساط الأكاديمية والثقافية العربية، لكن الغريب هنا أن العرب تأخروا أكثر من خمسين سنة قبل أن يقوم أحدهم بترجمة المقالة كاملة، مع أن المعركة حول أفكار من اتُّهم بالسطو عليها، قد هدأت نسبيًّا، منذ وقت طويل.

٣. ٢. تنوعت مواقف هؤلاء المترجمين من المقالة ومضامينها، وطرقهم في فهمها، فالخضيري وناصر الدين الأسد ذكرا أن مارگلياث "**يرجّح/ رجّح**" في مقالته أن يكون هذا الشعر الذي نقرأه على أنه شعر جاهلي إنما نُظم في العصور الإسلامية، ثم نحله الرواة الوضاعون المزيِّفون لشعراء جاهليين، واكتفيا بتلخيص أدلته،[٢] ولم يعلقا على ما عرضا من تفاصيل المقالة سوى أن الأسد قام بوضع علامات التعجب نهاية بعض الفقرات تعبيرًا عن استغرابه من الأفكار أو الاستنتاجات أو الأحكام التي تتضمنها.

---

(١) ينظر: مجلة الشعر، القاهرة، المجلد ٦، العدد ٢١، يناير/ كانون الثاني، ١٩٨١، ص ص. ١١– ٣١، العدد ٢٢، أبريل/ نيسان، ١٩٨١ ص ص. ٩– ٢٣.

(٢) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٩٧٨، ص ص. ٣٥٢– ٣٦٧. يذكر أن الطبعة الأولى للكتاب صدرت سنة ١٩٥٦ عن الدار نفسها، وهو في الأصل أطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٥.

جاءت أول ترجمة للمقالة بأكملها على يد د. يحيى الجبوري من مصدرها الأصلي ونشرها أول مرة سنة ١٩٧٧ في كتاب مستقل، ثم أعاد نشرها لاحقًا.[١] وقد قدم الجبوري لترجمته بمقدمة عن تاريخ فكرة الوضع والتزييف التي أثارها النقاد القدامى مثل ابن سلام وغيره، ولدى بعض المستشرقين، ثم أتبع الترجمة بتعليقاته وملاحظاته النقدية على أسلوب مارگلياث ومنهجيته واستنتاجاته وفكرة مقالته العامة، وهي ملاحظات دفاعية في أغلبها. على أن هذه الترجمة مليئة بالأخطاء والتحريفات وسوء الفهم للكثير من العبارات التي وردت في الأصل، الأمر الذي يجعل قيمتها العلمية ثم حكم المترجم على المقالة محل تساؤل.

أما عبد الرحمن بدوي، فقد ترجم المقالة بأكملها أيضًا، معتمدًا على مصدرها الأصلي، وضمّنها كتابه (دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، بيروت، ١٩٧٩)، لكنه لم يعلق على أفكارها أو يناقشها،[٢] واكتفى بأن أشار في مقدمة الكتاب إلى أن البحث في موضوع صحة الشعر الجاهلي خطا "خطوة جبارة"[٣] بمقالة مارگلياث، ولعل التفسير الممكن الوحيد لهذا الوصف المبالغ فيه، يكمن فيما ذكره من أن مارگلياث استغل نتائج دراسة النقوش الحميرية والعربية الجنوبية (مع أن هذا محدود الصلة بالموضوع)، وركّز خصوصًا على الدوافع الدينية في انتحال الشعر الجاهلي والتغيير في روايته زيادة أو نقصًا أو تحريفًا. ويبدو من هذا التعليق الموجز، أن بدوي لم يفهم الفكرة الرئيسة في مقالة مارگلياث، لأن الأخير لم يفكر مثل سابقيه نولدكة وآلفرت ولايل في أن الشعر الجاهلي قد ناله التغيير عن صورته الأصلية باعتبار شفاهية تأليفه وحفظه، وظل مع ذلك، يحتفظ بأصالته وهويته وتأثيره رغم هذه التغييرات، بل يقدم أدلته لهدف مختلف تمامًا؛ هو التشكيك في أصالة هذا الشعر بكليته. هذا فضلاً عن أن الترجمة تحتوي بعض الأخطاء بدءًا من العنوان الذي جعله المترجم (نشأة الشعر العربي)، إلى سوء الفهم لبعض أفكار مارگلياث وأسلوبه، وحتى لبعض أسماء الشعراء، ربما بحكم بُعد بدوي عن التخصص في الشعر العربي القديم.

ثم ترجم المقالة د. عبد الله أحمد المهنا سنة ١٩٨١، وهي ترجمة أفضل من سابقتيها لأن المترجم أكثر تمرسًا باللغة الإنگليزية حيث كان قد درس في إحدى الجامعات البريطانية، وامتازت هذه الترجمة بدراسة موجزة للمقالة، وبيان أخطاء مارگلياث وضعف

---

(١) صدرت الطبعة الأولى للترجمة عن دار الرسالة، بيروت سنة ١٩٧٧، ثم عن منشورات جامعة قاريونس (بنغازي) سنة ١٩٩٤ في أثناء عمله في هذه الجامعة.

(٢) ينظر: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص ص. ٨٧– ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص. ١٢

حججه وأدلته، مع التعليقات على تفاصيله، لكن الترجمة لم تخل من بعض سوء الفهم لأفكار مارگلياث وعباراته أيضًا.

أخيرًا جاءت ترجمة د. إبراهيم عوض (٢٠٠٦)، وهي ترجمة أكثر دقة ورصانة من الترجمات السابقة، امتلأت هوامشها بالتعليقات والمقارنات والتنبيهات على أخطاء المترجمين السابقين في فهم الكثير من عبارات مارگلياث وأفكاره، ثم عقّب عليها بمناقشة دفاعية موسعة لتفاصيل المقالة شكلت ما يقرب من نصف الكتاب، تفنّد أدلته الرئيسة وتنتقد منهجه في الفهم والاستدلال، وتشير إلى الهدف المريب للمقالة وتضعها في فئة الجهود الاستشراقية الطاعنة في الثقافة العربية- الإسلامية، لكن هذه الترجمة لم تخل بدورها من الأخطاء عند مقارنتها بالنص الأصلي.

٣. ٣. وهنا، نورد بعض الملاحظات العامة على هذه الترجمات:

أ. أخطاء المترجمين في فهم الكثير من عبارات المقالة وأفكارها مما انتقدهم عليه د. إبراهيم عوض (ويصدق عليه هذا الحكم أيضًا وإن بشكل أقل نسبيًّا)، ترجع إلى اللغة الإنگليزية الراقية المتخصصة التي كتب بها مارگلياث مقالته، وأسلوبه المعقد في التعبير عن أفكاره وصياغة جمله التي عادة ما تكون طويلة تتخللها الجمل الاعتراضية والتفصيلية، وهي - لذلك- تتطلب مرانًا على أسلوب مارگلياث من خلال قراءة مؤلفاته السابقة أو بعضها على الأقل، للتمكن من فهمها بدقة، ولا أظن أن أيًّا منهم فعل ذلك.

ب. عبد الرحمن بدوي هو الوحيد الذي مدح المقالة، وكان الخضيري والأسد محايدين في موقفهما منها، فيما كان سائر المترجمين دفاعيين في ترجماتهم، ويتضح ذلك من تعليقاتهم عليها، وتقويمهم العام لها، ثم من ارتياب بعضهم في أهدافها. ويبدو أن بدوي كان متسرعًا في حكمه على المقالة وقيمتها حتى بالغ في ذلك مبالغة لم تكن مبررة، مع أنه ترجم مقالة للمستشرق الألماني إيريش بروينلش فند فيها أدلة مارگلياث، ونعى عليه غرابة استنتاجاته، وأخطاءه المنهجية.(١)

ت. الموقف الدفاعي جعل ثلاثة من المترجمين لا يرون في المقالة سوى أنها تنكر أصالة الشعر الجاهلي إنكارًا تامًا، بينما ذكر الخضيري والأسد لفظة "رجّح" في حكمهما على فكرتها. وهذا يعني أن الأخيرين كانا أكثر حذرًا في تقويم مجمل المقالة، لكن يبدو أن ما قاله الأسد بعد هذه الكلمة: "أن يكون هذا الشعر الذي نقرأه على أنه شعر جاهلي إنما نُظم في العصور الإسلامية، ثم نحله الرواة الوضاعون المزيِّفون لشعراء جاهليين"، هو

(١) ينظر: في مسألة صحة الشعر الجاهلي، أ. بروينلش، ضمن كتاب: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص ص. ١٣٠- ١٤٢.

الذي علق في الأذهان، فأدى إلى هذا الموقف الدفاعي تجاه المقالة، مدعومًا بطعون الرافعي وشاكر وغيرهما فيها منذ اللحظة الأولى للتعرف عليها وقت صدورها.

ث. لم ينتبه أحد من المترجمين الستة إلى آخر فقرة في المقالة التي تضمنت أننا لا نستطيع إصدار حكم نهائي على أصالة الشعر العربي القديم لأن الأدلة التي أمامنا "محيرة". وهذه الفقرة جوهرية في تقويم المقالة كلها، كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

٤. مارگلياث ودارسوه العرب:

مر بنا أن أول من ذكر مقالة مارگلياث اثنان هما الرافعي وشاكر، والأول لم يطلع على المقالة مباشرة بل استمع إلى تلخيص لأفكارها من يعقوب صرّوف رئيس تحرير مجلة المقتطف، وذلك في سبتمبر/ أيلول ١٩٢٥، وكان انطباعه عنها أنها رأي في العلم وليس علمًا، وهوّن من شأنها لأنها جاءت من مستشرق. أما الثاني فقد قرأها من مصدرها الأصلي (عدد مجلة الجمعية الملكية الآسيوية الذي تضمن المقالة)، وحسب شهادته: "فزاد الأعجمي سقوطًا على سقوطه، وكل ما أراد أن يقوله: إنه يشك في صحة الشعر الجاهلي، لا، بل إن هذا الشعر الجاهلي الذي نعرفه، إنما هو في الحقيقة شعر إسلامي وضعه الرواة المسلمون في الإسلام، ونسبوه إلى أهل الجاهلية، وسُخفًا في خلال ذلك كثيرًا"[١]، ورأى بعد القراءة "أعجميًّا باردًا شديد البرودة، لا يستحي [كذا] كعادته".[٢]

يمكن تفهم هذه النظرة المتعالية تجاه "الأعجمي" والاستشراق عمومًا، بأن الرافعي وشاكر وغيرهما من بعض مثقفي تلك الحقبة، كانوا ينطلقون من اعتزاز قومي شديد بالتراث العربي، إذ كان مشروع النهضة العربية في أوج فاعليته ونشاطه وتأثيره، لا سيما أن موجة مضادة بدأت تفرض نفسها متمثلة بموجة "تغريب" العقل العربي التي كان طه حسين من أهم دعاتها في ذلك الوقت، حتى وظف مضمون كتابه (في الشعر الجاهلي) من أجل دعمها.

٣١،(٢) المتنبي، شاكر، المتنبي، ص. ١٢. الملفت أن شاكر قال تعقيبًا على رأيه في مارگلياث: "أنا بلا شك أعرف من الإنجليزية فوق ما يعرفه هذا الأعجم من العربية أضعافًا مضاعفة، بل فوق ما يمكن أن يعرف منها إلى أن يبلغ أرذل العمر..." المصدر نفسه، ص. ١٢، جدير بالذكر أن شهادة شاكر في مقدمة دراسته عن المتنبي تأتي لإثبات سطو طه حسين على مقالة مارگلياث، وكان حين قراءته المقالة بعمر السابعة عشرة فقط. أما عبارة "سقوطًا على سقوطه" فهي إشارة إلى أن شاكر كان قد قرأ كتاب مارگلياث عن النبي محمد أو فكرة عنه، ويبدو أن الكتاب كان معروفًا في أوساط المثقفين المصريين من وقت صدوره، إذ كتب محمد رشيد رضا مقالاً عنه في مجلته المنار بتاريخ ٢٣ أغسطس/ آب ١٩٠٦ كما سبق أن أشرنا.

وبالطبع، كانت الريبة في أن المستشرقين ومنهم مارگلياث وراءها، ومن هنا جاء "التمريض والاحتراس" اللذين تكلم عنهما الرافعي فيما يؤخذ عن المستشرقين، ففرضت هذه الرؤية نفسها على كل المتون االدفاعية ضد كتاب طه حسين، وكان عنف بعضها رد فعل على موجة التغريب هذه.

وقد استمر تأثير هذه الرؤية على أغلب الذين تناولوا مارگلياث ومقالته ترجمة ودراسة وتحليلاً، وهذا ما يفسر دفاعيتهم تجاهها، لا سيما بعد أن صارت المقالة في متناول المهتمين بتاريخ الشعر العربي القديم من خلال بعض ترجماتها التي عرضناها آنفًا، فحاول كل منهم قراءته بطرق متنوعة تعكس خلفيته الفكرية ومنهجيته. لكن هذه الطرق كانت تجتمع على موقف سلبي من المقالة من حيث إطارها العام وإن كان البعض قد حاول أن يكون موضوعيًّا منصفًا، بل نجد البعض أحيانًا، يقف موقفين متعارضين. فعلى حين يكتفي العقيقي بسرد مفصل لمنجزات مارگلياث من الدراسات والتحقيقات،[١] ويعود الجبوري ليقدم عرضًا محايدًا موجزًا لمضمون مقالة مارگلياث، مقدمًا له بسرد مؤلفاته وبحوثه وتحقيقاته، مع مناقشة موجزة لبعض أدلته،[٢] نفاجأ ببدوي الذي بالغ في مدحه عندما ترجم مقالته (أصول الشعر العربي)، يتهمه بأن دراساته تسري فيها روح غير علمية ومتعصبة. وأن قيمته كمستشرق، يجب أن تُلتمس في تحقيقاته لا في كتاباته المغرضة.[٣]

يتردد هذا الحكم في مواقف الأكاديميين العرب من مارگلياث ومقالته. وليس بالإمكان استعراض هذه المواقف كلها، ولنكتف بثلاث عينات منها، لكل من محمود محمد شاكر والطاهر أحمد مكي ومحمد مصطفى هدارة، نتناولها هنا بإيجاز شديد.

١. محمود محمد شاكر:

يبدو أن محمود محمد شاكر انشغل بقضية الشك في صحة الشعر الجاهلي حياته كلها، فقد مرة بتجربة قاسية كان سببها كثرة مجادلته لطه حسين في أثناء إلقائه لمحاضراته سنة ١٩٢٥- ١٩٢٦ دفاعًا عن أصالة الشعر الجاهلي ورفضًا لرأيه، مع معرفته التي أكدها مرارًا أن كتاب طه حسين ليس إلا "سطوًا مجردًا" على مقالة مارگلياث. وقد أدى به ذلك إلى

---

(١) ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤، ص ص. ٥١٨- ٥٢١.

(٢) ينظر: المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧، ص ص. ٤٨- ٥٣.

(٣) موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣ ، ١٩٩٣، ص. ٥٤٦.

ترك الدراسة في الجامعة والسفر إلى السعودية للعمل هناك. ولهذا نجد أثر هذه التجربة في كل مؤلفاته اللاحقة. وقد ازداد موقفه من القضية اتساعًا ليتجاوز الدوافع المعتادة التي تتهم المستشرقين بالتعصب الديني أو العرقي. فمثلاً، نجده يعود لتناول مقالة مارگلياث مرة أخرى في مقدمته الطويلة للترجمة العربية لكتاب مالك بن نبي (الظاهرة القرآنية)، وهنا نراه يربط بين قضية الشك في صحة الشعر الجاهلي وإعجاز القرآن ويصف القضية كلها بأنها"كيد خفي". وقد ذهب إلى أن الغاية النهائية "للفتنة التي ذرّ قرنها في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٦" هي إنكار إعجاز القرآن، ذلك أن تبين وجوه الإعجاز في القرآن لا يتأتى إلى بمقارنته بالشعر الجاهلي باعتباره تجسيدًا لما بلغه العرب قبل الإسلام من رقيّ في فنون التعبير، ثم علوّ القرآن على ذلك. وإسقاط هذا الشعر عن طريق التشكيك في أصالته، يعني بالنتيجة إسقاط ميزة الإعجاز عن القرآن.(١)

قد يبدو لنا هذا الربط بعيدًا أو غير مبرر، لكنه يعكس مرحلة تاريخية محددة بمعطياتها السياسية والفكرية والثقافية، ويمكن تفهم دوافعه في هذا الإطار. على أنه من جهة أخرى يمكن عده سوء فهم ناتج عن استرابة في الدوافع والأهداف من جهود تبقى محصورة بالسياق الأكاديمي. وشاكر حين يستنتج هذه النتيجة الغريبة، يعبر في الواقع عن مخاوفه التي تستند إلى رؤية إيديواوجية معينة، ربما ساعدت أجواء صعود الإسلام السياسي الذي بدأ يفرض نفسه في ستينات القرن الماضي، على بلورتها.

٢. الطاهر أحمد مكي:

يتناول الدكتور الطاهر أحمد مكي موضوع أصالة الشعر الجاهلي والتشكيك فيه، في سياق التمهيد لدراسته شعر امرئ القيس، ويأتي مارگلياث في هذا السياق بالطبع. يعتمد مكي كليًّا على تلخيص ناصر الدين الأسد لمقالته، وهو بذلك لا يضيف جديدًا إلى الموقف المعتاد. لكنه يطلق وصفًا غريبًا على مارگلياث، هو "الجاحد الأوربي".(٢) ولم يوضح مكي سبب وصفه مارگلياث بالجحود هنا، لكن الوصف يحتمل معنيين؛ الأول هو الإنكار أي لإنكاره صحة الشعر الجاهلي، والثاني يحتمل عدم الاعتراف بالفضل. ولعل مكي يشير بذلك إلى المكانة التي منحها العرب مارگلياث عندما كرموه بطرق عديدة منها منحه عضوية المجمع العلمي العربي في دمشق عند تأسيسه سنة ١٩٢٠.

---

(١) ينظر: الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط ٤، ١٩٨٧، ص ص. ٢٢- ٥٠.

(٢) ينظر: امرؤ القيس حياته وشعره، د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٦٨، ص. ١٠. وهو يربط بينه وبين طه حسين الذي يصفه بـ"الجاحد المصري".

والواقع أن مكي يحمّل مارگلياث مسؤولية أمر لا شأن له به؛ فالأخير كتب مقالته – وقبلها عبر عن فكرتها بطرق متنوعة– انطلاقًا من مشاغله الأكاديمية والبحثية في إطار محدد هو دائرة الدراسات الاستشراقية التي ازدهرت في القرن التاسع عشر فيما يسمى بالعصر الكلاسيكي للاستشراق الذي كان هو من أواخر ممثليه، ولم يكتبها للعرب أصلاً، ولم يكن معنيًّا بالتعبير عن امتنان أو جحود أو التزام أخلاقي من أي نوع تجاه الأوساط الثقافية العربية.

٣. د. محمد مصطفى هدارة:

العينة الثالثة هي الدراسة الطويلة للدكتور محمد مصطفى هدارة – الذي يوصف بأنه شيخ النقاد الإسلاميين في العصر الحديث– عن المقالة التي صدّرها بقوله: "على كثرة ما كتب المستشرقون في قضايا اللغة العربية والأدب العربي لا نجد مقالة تمثل سوء المنهج العلمي خضوعًا للتعصب المقيت ضد العروبة والإسلام أشد وقعًا وأبعد أثرًا من مقالة ديفيد صموئيل مرجليوث ."[١] والدراسة دفاعية عنيفة تصف ما فعله مارگلياث (وطه حسين بالتبعية) بأنه "فتنة" هدفها النيل من "العروبة والإسلام" بهذا الإطلاق والإعمام. ومن هذ المنظور يناقش هدارة أدلة مارگلياث ويحاول دحضها، بالاستناد إلى ترجمتي الجبوري وبدوي، معتمدًا على مستشرقين مثل برونولسن [كذا والمقصود هو بروينليش] وآربري وآلفرت (مستقيًا آراءهم من ترجمة بدوي)، وألحق به طه حسين واستعان بردود الرافعي وشاكر للرد عليه، كل ذلك بأسلوب تغلب عليه العبارات والأوصاف القاسية التي شملت بعض مترجمي المقالة أيضًا.[٢] والذي يقرأ هذه الدراسة يخرج بانطباع عام أن هدارة واجه ما ظنه تعصبًا من مارگلياث بتعصب أشد منه، لأن دراسته التي جاءت بعد ستين سنة من نشر المقالة لا تعكس منهجًا أكاديميًّا يعتمد العقلانية في النقاش.

---

(١) موقف مرجليوث من الشعر العربي، د. محمد مصطفى هدارة، ضمن كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج ١، ص. ٣٩٦.

(٢) يتضمن المعجم الذي استعمله هدارة في دراسته عبارات مثل "الجهالة الفاضحة" و"الشبهات المسمومة" و"نفث السموم" و"الحقد الأعمى" و"الخبث المزدوج"... إلى آخره، ونعى على عبدالرحمن بدوي إعجابه بمقالة مارگلياث وافتتانه بكل ما يكتبه المستشرقون حتى بالخطل والباطل، ووصفه بأنه "واقع في أسر الفتنة المرجليوثية". ينظر: المصدر نفسه، ص. ٣٩٩.

الخاتمة

نصل هنا إلى نتيجتين رئيسيتين:

أ. بأخذ كل ما سبق في الحسبان، يمكن الحكم على بحثي طرفي "الفتنة المرجليوثية" بأنهما ليسا أكثر من محاولتين نقديتين فرضهما المنهج التاريخي السائد في عصرهما في دراسة الأدب، وأول مبادئه التوثق الموضوعي من مادة الدراسة (المتمثلة هنا بالشعر الجاهلي)، وهذا هو سياقهما الثقافي الأول الذي ينبغي أن يوضعا فيه. ومع هذا، لم يحقق البحثان أهدافهما، ففقدا قيمتهما العلمية ليس لتهافت الأدلة التي قدّماها فحسب، بل لتراجع المنهج التاريخي نفسه، أمام المناهج الأكثر حداثة وفاعلية في فهم النصوص وتحليلها علميًّا، وأصبحا – أو كان يجب أن يصبحا– من التاريخ.

ب. أن الأحكام المتداولة بين الدارسين عن مقالة مارگلياث وكونها نتاج تعصبه ضد الثقافة العربية الإسلامية أو اتهامه بالتعصب ضد الإسلام عمومًا، أحكام مسبقة استمر تداولها لوقت طويل، دون مسوغات موضوعية، لأن المقالة لم تكن موجهة للعرب أو المسلمين أصلاً، بل تندرج في نطاق أكاديمي محدود جدًّا، بصفتها خطابًا معرفيًّا موجهًا إلى مجتمع المهتمين بالشعر العربي القديم من المستشرقين الأوربيين، وهي لم تكن أكثر من ردّ على آلفرت ولايل، ولا ينبغي الحكم عليها موضوعيًّا خارج هذا السياق المعرفي. وفيما يخص مؤلفاته عن الإسلام، فلا يبدو الحكم عليها مبرّرًا أيضًا، ذلك أن دراساته لم تترجم إلى العربية، وما عرفته الأوساط العربية عنها لا يعدو أن يكون مقتطفات أو مقالات تعريفية، فضلاً عن أنه لم يكتب دراساته هذه للعرب والمسلمين أصلاً، فهي مثل مقالته، تتحرك في حدود الفضاء الاستشراقي السائد في عصره ومشاغله الأكاديمية والمعرفية. وكان الأولى بالأكاديميين العرب ترجمة أعماله ودراستها وتحليلها علميًّا، أو الكتابة عنها بلغتها كي يُسمع صوتهم في الوسط الذي نمت فيه، بدل الشتائم التي لم يصل إليه منها شيء في حياته وبعد مماته.

ثبت مصادر

أولاً: المصادر العربية

- "رأي الأستاذ مرجليوث في الشعر الجاهلي"، محمود محمد الخضيري، مجلة الزهراء، العدد ١٠، المجلد ٤، ذو الحجة، ١٣٤٦ (أبريل/ نيسان، ١٩٢٩)، ص ص. ٦١٨-٦٣١. على موقع الإنترنت: https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/Al-Zahra/Al-Zahra_1927/Issue_10/index.html
- "كتاب مرجليوث في النبي محمد صلى الله عليه وسلم"، محمد رشيد رضا، مجلة المنار، المجلد ٩، العدد ٧، (آب/ أغسطس، ١٩٠٦) .
- أصول الشعر العربي، د. س. مرجليوث، د. عبد الله أحمد المهنا (مترجم)، مجلة الشعر، القاهرة، المجلد ٦، العدد ٢١، يناير/ كانون الثاني، ١٩٨١، ص ص ١١-٣١، العدد ٢٢، أبريل/ نيسان، ١٩٨١ ص ص ٩- ٢٣.
- أصول الشعر العربي، ديفيد صموئيل مرجليوث، ترجمة د. يحيى الجبوري، دار الرسالة، بيروت، ١٩٧٧.
- امرؤ القيس حياته وشعره، د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.
- تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة الأهلية بمصر، ١٩٢٦.
- حديث الأربعاء، د. طه حسين، دار المعارف بمصر، ط ١٤، د. ت.
- الحياة الأدبية في جزيرة العرب، د. طه حسين، مكتب النشر العربي، دمشق، ط١، ١٩٣٥.
- خصام ونقد، د. طه حسين دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٥٥.
- دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.
- الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة، الأمير شكيب أرسلان، تحقيق محمد العبدة، دار الثقافة للجميع، القاهرة، ط١، ١٩٨٠.
- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط ٤، ١٩٨٧.
- في الأدب الجاهلي، د. طه حسين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٢٧.
- في الشعر الجاهلي، د. طه حسين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٢٦.
- قادة الفكر، د. طه حسين، مطبعة دار الهلال، القاهرة، ١٩٢٥.

- قرار النيابة في كتاب الشعر الجاهلي، مطبعة الشباب، القاهرة، د. ت.
- المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، ١٩٨٧.
- المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين، د. محمد نجيب البهبيتي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥.
- المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧.
- المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤.
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٧٨.
- معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين، د. إبراهيم عوض، دار الفجر الجديد، القاهرة، ١٩٨٧.
- موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ ، ١٩٩٣.
- موقف مرجليوث من الشعر العربي، د. محمد مصطفى هدارة، ضمن كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥: ج١.
- نقض كتاب في الشعر الجاهلي، محمد الخضر حسين، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، د. ت.

ثانياً: المصادر الأجنبية

- Charles James Lyall, *The Mufaḍḍaliyāt; an anthology of ancient Arabian odes compiled by Al-Mufaḍḍal son of Muḥammad according to the recension and with the commentary of Abū Muḥammad Al-Qāsim Ibn Muḥammad Al-Anbāri*: Translation and Notes, Vol: II, Oxford: Oxford University Press. 1918.
- D. S. M. Book Review, *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, no. 4, 1927, pp. 902–904.
- D. S. Margoliouth, *Mohammed and the Rise of Islam*, G. P. Putnam's Sons, New York and London, The Knickerbocker Press, 1905.

- D. S. Margoliouth, "A Poem Attributed to Al-Samau'al." *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, (Apr. 1906) pp. 363- 371.
- D. S. Margoliouth, The Origins of Arabic Poetry, *Journal of Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, No. 3, (Jul., 1925).
- D.S. Margoliouth, Article: "Muhammad", James Hastings' *Encyclopedia of Religion and Ethics*, VIII, Edinburgh: T. & T. Clark, 1916.